

ظهور الموحدين وامتداد سلطانهم الى الاندلس

يقول مؤلف «الحلل الموشية»⁽¹⁾ في ذكر الاخبار المراكشية، عند ترجمته الامير أبا الحسن علي بن يوسف بن تاشفين انه أجاز الى الاندلس الجواز الرابع في سنة 515 وذلك لثورة قامت في قرطبة ضد واليها الامير يحيى بن رواد ومن معه من المرابطين . وبينما هو بالاندلس اذ بلغه ظهور المهدي بالسوس الاقصى فعاد الى العدو . واذاً فقد جد خطر يهدد ملك المرابطين ، يهدده لا في العدو الافريقية فحسب ولكن فيها وفي الاندلس . وهذا

(1) صفحة 70 - 71 من الكتاب، والمؤلف مجهول . وقد اعتنى بنشره وتصحيحه : م . س علوش مدير المباحث الادبية والتاريخية بمعهد العلوم . والمحافظ على القسم العربي من المكتبة العامة برباط الفتح سنة 1936 . وكان هذا الكتاب قد نشر من قبل في تونس . وطبعة الرباط هي الحلقة السادسة من سلسلة المخطوطات العربية التي يشرف على نشرها معهد الدراسات العليا المراكشية : *L' Institut des Hautes Etudes Marocaines*

الخطر جاء من المسلمين لامن الروم وجاء من ابن تومرت
- الملقب بعد بالمهدي - المؤسس لدولة الموحدين . وكان له
قطعا أثره في توجيه ملوك المرابطين همهم الدفاع عن حصنهم
الاول ومقر سلطانهم في بلاد مراکش .

ويتأهب أمير المسلمين علي بن يوسف لمقاومة هذا الخطر
والقضاء عليه ، ويجهز العسكر ويقدم عليه أخاه الأمير أبا طاهر
تميما ، ويبعث به لمحاربة الموحدين فينهزم جند المرابطين⁽¹⁾
ويرجع .

نعم اضطربت الامور في المدوة الافريقية على أمير المسلمين
علي بن يوسف منذ ظهور المهدي ، وخلفه الأمير عبد المؤمن
ابن علي . واستمر الاضطراب الى أن مات أمير المسلمين في
رجب سنة 537 هـ . (الموافق 1143 م) وفي عهد خلفه وابنه
تاشفين بن علي بن تاشفين .

وبسبب هذا الاضطراب وهذه الفتنة اتصت الحروب ،
وغلّت الاسعار ، وعم الجذب ، وقلت المجابى ، وكثر على

(1) صفحة 209 من كتاب « الحلل الموشية »

أهل الاسلام المعن بالمدونين ، ووجه كثير من حماة الاندلس الى المدوة ، ونقل اليها كثير من أسلحتها وعددها ، فكان ذلك من أعظم فساد حل بالاندلس ، واختلال أمرها عليهم ، والح نصارى بالضرب على جهات بلاد الاندلس حين علموا عجز الامارة بالمغرب عن الدفاع ، لما هم فيه من الفتن ، حتى تغلبوا على كثير من بلادها (1) .

وانشغل أمير المسلمين تاشفين بن علي بحروبهم مع الموحدين ، وانصرف ملوك الطوائف الى التكاالب فيما بينهم فضعف أمرهم ، واشتد ساعد الروم عليهم . ولم يتمكن أمير المسلمين بالمغرب من الجواز الى الاندلس كما كان يفعل سابقه عندما يهاجمها الروم أو يخرج على أمرائها من المرابطين ملوك الطوائف . وكان من اعظم ما تأيد به عبد المؤمن على المرابطين قيام أهل الاندلس عليهم ، لانهم اخلوها من حماتها واسلحتها . والفساد الاكبر على المرابطين نسخ أمر بأمر غيره ، فكانوا يكتبون اليوم شيئاً وغداً غيره . فيسخر جنودهم ورعاياهم (2)

(1) صفحة 98-99 من «الحلل الموشية» (2) صفحة 108 من «الحلل الموشية»

منهم.

ومات امير المسلمين تاشفين اثناء مطاردة الموحدين له
بوهران ، قتل مترديا من الحصن في (1) رمضان سنة 539 هـ
(1145 م)

ثم بويغ بمراكش ابنه ابراهيم والفوه ضعيفا عاجزا فخلع
وبويغ عمه اسحاق بن على بن يوسف بن تاشفين . وهو آخر
أمراء المرابطين ، اذ قتل في سنة 541 بعد حصار مدينة مراكش ،
وبموته آل الامر الى عبد المؤمن خليفة الموحدين .

وقد اشرنا في الصفحات الماضية الى ما كان من فرار عبد
الله بن محمد بن غانية والى بلنسية في سنة 539 هـ ، أى في الوقت
الذى كانت تطارد فيه جيوش الموحدين عساكر المرابطين ، والذى
كان المرابطون منصرفين فيه الى شئون العدو الافريقية . وكان
ابن غانية هذا آخر ولاية المرابطين (2) في بلنسية . . . وانتقلت
ولاية بلنسية بعده الى القاضي ابى مروان بن عبد العزيز ، ثم

(1) رواية ابن خلدون انه «هلك يقال سنة 41 هـ» (2) هذا ما عدا
شولتهم فى الجزائر الشرقية التى دامت اثناء عهد الموحدين واستمرت منها
جزيرة منورقة الى وفاة ابى عثمان سعيد بن حكم القرشى .

عبد الله بن عياض منبيا عنه أبا عبد الله محمد بن سعد بن
مردنيش ثم ابا محمد بن مردنيش وبعده أخوه أبو الحجاج يوسف
بن سعد بن مردنيش .

ولما تم لعبد المؤمن ملك المغرب، شرع في أعمال الحركة
للاستيلاء على إفريقية وعلى الأندلس . فقسم عساكره إلى
ثلاثة أقسام، وجه واحدا منها إلى الأندلس بقيادة ابنه⁽¹⁾ السيد
أبي حفص . وقد كانت وصلة بيعة من بعض المواضع بجزيرة
الأندلس . وأول بيعة وصلته، وأول وفد وفد عليه⁽²⁾ من أهل
أشبيلية، ولذلك اعتنوا بها في مدتهم وصيروها حاضرتهم
بالأندلس .

وولى أمير المؤمنين عبد المؤمن على غرناطة ابنه السيد
أبا سعيد عثمان . وفي سنة 555 هـ أجاز هو إلى الأندلس وأتته
وفودها من كل جهة مبايعة، واحتفل به الشعراء⁽³⁾ والخطباء،
ومات سنة 558 هـ .

(1) من 123 من الحلل الموشية . وتوجه هو بالقسامين الآخرين إلى إفريقية

أضما ملكه . (2) صفحة 122 من «الحلل الموشية» (3) صفحة 130 من «الحلل الموشية»

وتولى بعده ابنه ابو يعقوب يوسف، فاجاز الى الاندلس

مرتين ، كانت اولاهما سنة 572 و ثانيتهما سنة 580 هـ

وكان ابن مردنیش . كما ذكرنا . قد اتسع سلطانه وآلت اليه

امارة مرسية وبلنسية وشاطبة، ودانية، وجيان، وبسطة، ووادي

آش، وقرمونة ونازل قرطبة واشبيلية. وكاد يستولى على جميع

الاندلس. وولى صهره ابراهيم⁽¹⁾ بن همشك مدينة جيان .

وفى سنة 556 هـ فصد ابراهيم بن همشك هذا غرناطة فاستولى

عليها ، وامتدت عليه قصبتهما التي اعتصم بها الموحدون بعد

هزيمة جيشهم . ولما اتصل الخبر بالخليفة بعث بجيش يقوده

السيد ابو يعقوب انضم الى جيش السيد ابى سعيد وتقدم

الجيشان نحو غرناطة . فاستصرخ ابن همشك بصهره ابى عبد

(1) هو ابراهيم بن احمد بن مفرج بن همشك . ومعنى همشك مقطوع الاذن . وجده

نصرانى اسلم على يد أحد ملوك بنى هود بسرقة خدم مع النصارى وصاهر

ابن مردنیش وسأواه . وكان جبارة قاسيا عظيم الجراة وحارب الموحدين

فى غرناطة . وساء ما بينه وبين ابن مردنیش بسبب زوجه بنت ابراهيم هذا

ثم خدم الموحدين ولاد بهم واستجار . فجاز البحر وقدم على الخليفة عام

565 فكرم قدومه ، واقطعه املاكا فى مكناسة وبقي بها الى ان مات

(انظر كتاب الاحاطة الجزء الاول صفحة 159 ، وكذلك كتاب اعمال الاعلام

صفحة 303) .

الله محمد بن سعد بن مردنیش، فخرج بنفسه فى المسكر الكثير من اهل الشرق والنصارى، ووصل الى غرناطة . فـهـ-نـم هـ-و وصهره واتصلت هنريته ، وظهر عليه الموحدون واستخلصوا معظم ما بيده ، واوقعوا به الوقائع العظيمة ، وحصر بمدينة مرسية الى أن مات اثناء الحصار فى رجب سنة 567 هـ . وكانت بلنسية فى ذلك الوقت تحت اماره اخيه ابى الحجاج يوسف كما ذكرنا .

وفى كتاب الاستقصا ، أنه لما مات محمد بن مردنیش جاء أولاده واخوته الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية ، فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لابيهم فأحسن اليهم أمير المؤمنين ، وتزوج أختهم ، وأصبحوا عنده (1) فى أعز منزلة .

(1) لم ينقص نفوذ بنى مردنیش ويزل نهائيا ، بل كان منهم امراء على البلاد وقوادلاساطيل تحت حكم الموحدين، من ذلك ان الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن عقد لعماس بن محمد بن مردنیش على الاسطول وأغزاه الاشبونة . « ذكروا أن الامير محمد بن سعد لما يئس من نفسه . وعلم بتصيير ملكه الى الموحدين أشهد على نفسه بايضا يوسف بن عبد المؤمن عدوه على ولده وأهله ، ورغب منه فى قبول ذلك . وجلب اليه ولده بعد موته، —

وبذلك شملت سيادة الموحدين شرق الاندلس بما في ذلك
 بلنسية، وصار ابو الحجاج يوسف بن مردنيش، واليا الموحدين.
 ويقول ابن خلدون انه لما هلك محمد بن مردنيش خرج
 ابنه هلال في صحبة السيد ابي حفص الذي كان محاصراً
 مرسية. فارسله الى الخليفة في اشبيلية وصهر له في ابنته. وولى
 عمه يوسف⁽¹⁾ على بلنسية. فهذا نص صريح على ان ابا الحجاج
 يوسف بن مردنيش قد استمر واليا على بلنسية بعد انتصار الموحدين.
 وتولى بعد الخليفة يوسف ابنه الخليفة يعقوب المنصور،
 وجاز الى الاندلس مرتين افتتح في اولهما شلب ودوخ بلاد
 الشرك. وكانت الثانية سنة 594هـ. وفيها حدثت وقعة⁽²⁾ الاراك

== فرق هذا القصد الامير أبو يعقوب واهتز لرعى هذه الوسيلة فتزوج ابنة
 ابي عبد الله بن سعد وخطأ أعله بنفسه وأورثهم ذلك ملك البلاد الشرقية
 زمنا غير يسير. وكان اعراسه بينت ابن سعد سنة 570 وولع بها، واتفق
 لقومها من البخت بسببها ما لم يتفق لثائر ولا مخالف ملك. فانفذ تقديم
 الامير ابي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش على بلنسية. وجهاتها. وقدم
 غانم بن محمد بن اخيه على اساطيل العدو بسبقة. وأمسك هلالا بحضرته
 اثير الرتبة لديه » (انظر ص 311 - 312 من اعمال الاعلام)

(1) صفحة 240 من الجزء السادس من تاريخه (2) تسمى موقعة الاراك

أيضا. ويقال ان خسارة الروم بها كانت ثلاثين ألف رجل.

التي هزم فيها الروم هزيمة منكرة .

ولما دنت وفاته في سنة 595 جمع بنيه وكبار الموحدين ووصاهم بوصاياها: «أيها الناس . أوصيكم بتقوى الله ، وأوصيكم بالأيام واليتيمة» فقال له الشيخ أبو محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص: «وما إلايتام واليتيمة؟» فقال: «الأيام أهل جزيرة الاندلس . وهي اليتيمة (1)» وكانت وفاته في ربيع الأول أي في الشهر الذي ولد فيه ابن الأبار تقريبا. فكأن ابن الأبار ولد في الوقت الذي كان خلفاء المسلمين من المغرب قد وصلوا إلى درجة من الخوف على الاندلس والاندلسيين ، فاطلقوا عليها وصف اليتيمة ، وعليهم وصف الأيتام . وظاهر أن سبب هذا الوصف فقدان المذاعة والقوة الحامية في داخل البلاد نفسها وحاجتها إلى من يتبناها ويحكمها من الخارج . وخلفه ابنه محمد الناصر لدين الله ، وأجاز إلى الاندلس وأقام بها عامين في سنة 607 ، وافتتح فيها معقل شلبقرة . وفي صفر سنة 609 كانت عليه وعلى المسلمين الهزيمة العظمى التي

(1) صفحة 133 من «الحلل الموشية»

فنى فيها اهل المغرب والاندلس ، والشهيرة بكائنة العقاب .
وفى اثرها عاد قافلا الى حضرة مراکش ، واغتم من اجلها غما
كبيراً ، أدى الى وفاته فى شعبان سنة 610

تولى بعده ابنه يوسف المستنصر بالله ولم تكن فى ولايته
حركة تذكر ، ولا غزوة تشهر . ومدته آخر ضخامة الدولة
الموحدية ومات فى ذى الحجة سنة 620 . وخلفه ابو مالك عبد
الواحد بن يوسف ، ولكنه تخلى بعد ثمانية اشهر ، فقام بالخلافة
بعده ابو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور . وقتل خنقا
فى سنة 624 . ومن مدة هذين الخليفين وكيفية موت ثانيهما
ندرك مقدار ما آلت اليه حال المغرب الداخلية من ارتباك ، وما
صارت اليه الاندلس من اهمال فى الدفاع عنها .

(1) صفحة 154 من الحلل الموشية . وهذه الاقعة تسمى عند الفرنجة
Las Navas de Tolosa ويتحدث ابن الخطيب (صفحة 382 من اعمال
الاعلام) عن دون الفونس الذى تولى سنة 1198 م وحكم ثلاثا وخمسين
سنة فيقول : وهذا الصبى هو الذى جرت عليه الهزيمة المعروفة بالاراك على
يد يعقوب بن يوسف سنة 1233م . ثم دالت له الايام فكانت له على الناصر
ابن المنصور هزيمة العقاب التى لم تستقل العشرة بعدها بالاندلس . وذلك
ثامن عشر من يليه سنة 1250م .

وتولى الخلافة بعده المأمون أبو الملاء اديس بن يعقوب المنصور. وكان عانما اديبا فصيحاً ذا رأى وحزم، الا ان دولته كانت مزاحمة بابى زكريا يحيى بن الناصر سلطان افريقية، فلم يمت له معه تمهيد البتة. وتوفى فى ذى الحجة سنة 629 وهو الذى امر بنزول اسم المهدي من السكك وغيرها. واذن للصارى القادمين من الاندلس ببناء كنيسة فى مراکش، واستولى ابن هود فى عهده⁽¹⁾ على الاندلس، وأخرج منها سائر الموحدين وقتلهم العامة فى كل محل. وقتل السيد أبو الربيع بن اخى المنصور وكان المأمون قد تركه واليا بقرطبة، واستبد الامير أبو زكريا بافريقية وخلع الطاعة سنة 627.

وهنا يتبين لنا كذلك مقدار ما ساد البلاد، المغرب والاندلس، من الفوضى والثورات مما اضعف نفوذ الموحدين وقوى سلطان اعدائهم، وقد كان بنو هود مهادين الموحدين لينصرفوا الى مواجهة هجوم الروم، ولكن بنى هود نشطوا لمحاربة امراء الموحدين والاستيلاء على ما فى ايديهم من بلاد.

(1) صفحة 253 وما بعدها من الجزء السادس من تاريخ ابن خلدون.

ويقول لسان (1) الدين بن الخطيب انه لما انصرف الامير
المأمون ادريس بن يعقوب في سنة 626 من الاندلس الى
مراكش خلا الجو للامير ابي عبد الله بن هود بعد وقائع كانت
بينهما، وانتهر النصارى الفرصة فعظمت الفتنة، وجاءت المحنة.
وتولى الخليفة يحيى بن الناصر الملقب بالمتصم الى ان
توفي سنة 633، فخلفه عبد الواحد بن المأمون ادريس بن
يعقوب الملقب بالرشييد. وكانت خلافته الى سنة 640 (1242م)
اي الى ما بعد سقوط بلنسية (2) في يد الروم.

وكان قد ولي امر بلنسية من قبل الموحد بن بعد ابي
الحجاج يوسف بن مردنيش السيد ابو عبد الله بن حفص بن
عبد المؤمن، وبعده ابنه السيد ابو زيد.

نفهم هذا النسب لهذين الوالدين من قبل الموحد بن، من رواية
ازهار (3) الرباض فان المقرئ عندما يترجم ابن الابار يقول: «وكتب
عن السيد ابي عبد الله بن ابي حفص بن عبد المؤمن ببلنسية، ثم

(1) الصفحات 247 .. 250 من الجزء الاول من الاطاعة (2) نكتفى

هنا بذكر هؤلاء الخلفاء الى سقوط بلنسية لعلاقتهم بموضوع البحث.

(3) صفحة 204 - 206 من الجزء الثالث.

عن ابنه السيد ابى زيد . ونفهمه كذلك من رواية دائرة المعارف
 الإسلامية ، فقد جاء (1) فيها انه كان « كاتباً لوالى بالنسية ابى عبد
 الله محمد بن ابى حفص بن عبد المؤمن بن على ، ثم لابنه ابى زيد
 بعدد . وهذا النسب هو ما ذهب اليه (2) دوزى ايضا بقوله :
 وتحت حكم الموحدين استمرت بالنسية تحكم كما كانت من قبل ،
 يتركها امراء من المغرب اولهم السيد ابو زيد عبد الرحمن
 ابن السيد عبد الله بن ابى حفص بن عبد المؤمن امير المسلمين .
 ولكن رواية كتاب الاحاطة (3) تفيد نسباً غير هذا . فابن
 الخطيب حين يترجم المأمون ادريس بن يعقوب يقول عنه : انه
 لما كان واثياً فى الاندلس على اشبيلية هاجم المتوكل بن هود
 مرسية فاستصرخ به اخوه (4) السيد ابو زيد فى سنة 625 فتحرك
 بجيشه الى غرناطة واحتلها فى رمضان من العام نفسه ، وأنفذ
 منها كتاباً الى اخيه يقوى بصيرته ، ويعلمه بنفوذه اليه . فهذه

(1) تحت اسم ابن البار (2) صفحة 384 من الجزء الثانى من كتاب :
 Mohammedan Dynasties (3) صفحة 247 - 250 من الجزء الاول .
 (4) فى صفحة 252 من الجزء السادس من تاريخ ابن خلدون ما يفيد ان
 السيد أبا زيد هذا كان صاحب بالنسية وشرق الاندلس فى سنة 624 هـ .

العبارة صريحة في ان السيد ابا زيد هو ابن يعقوب بن يوسف
ابن عبد المؤمن لانه أخو السيد ادريس بن يعقوب.

على ان ابن الخطيب يذكر نسب السيد أبى زيد صراحة
في كتابه «اعمال الاعلام»⁽¹⁾ فيمن بويح قبل الاحتلام من اعلام
الاسلام ، فهو يقول: انه السيد ابو زيد عبد الرحمن بن يعقوب.
وليس لدينا من الادلة التاريخية ما يرجح احد النسبين .

ومما ذكر في تاريخ ابن خلدون عن ابن البار ، وفي نفح
الطيب ، تفهم ان بلنسية تولاها السيد ابو عبد الله بن ابي حفص
ابن عبد المؤمن ، ثم خلفه ابنه السيد ابو زيد من قبل الموحدين .
فاذا صح هذا كانت تولية السيد ابي عبد الله امارة بلنسية بعد
موت الرئيس ابي الحجاج يوسف بن مردنيش⁽²⁾ سنة 582 هـ .

وعلى اية حال ، فان السيد ابا زيد الموحدي قد ضعف شأنه عند
ما خمدت ربيع بنى عبد المؤمن بالاندلس ، وبخروج ابن
هود عليهم ، وبثورة ابن الاحمر ، وبهجوم ملك برشلونة .

(1) صفحة 313.

(2) نجد تاريخ الوفاة هذا في صفحة 312 من كتاب (اعمال الاعلام) لابن
الخطيب.

« فلما ازمع السيد ابو زيد عبد الرحمن بن يعقوب الخروج عن
بلنسية ، والاعتصام ببعض معاقلها ليكون اقدر على ضبط امره ،
وامتنعت عليه ، والجأه الاضطرار الى اللحاق بصاحب أرغون
بادر الرئيس ابو جميل بلنسية من مستقره يومئذ بمدينة ابده ،
فدخلها يوم الاثنين السادس والعشرين اصفى سنة 626 ، وسكن
القصر ، واخذ البيعة لنفسه اول ربيع الاول من السنة داعيا
للعباسى ببغداد ، ثم دخلت دانية فى بيعته واشتهر
جهاده الى ان كانت عليه الواقعة بأنيسة من ظاهر بلنسية .
هاك فيها من المسلمين ما لا يحصىه الا الله ، وكتب عليهم عدو
الشرق ، ويثسوا من نصرة اهل الاندلس واهل المغرب ،
فتعلقوا ببيعة الامير ابى زكريا بتونس ، واستصرخوه ، واطمعوه
بفتح (1) الشرق

اما الرئيس ابو جميل هذا فهو زيان بن ابى الحملات
مدافع بن الرئيس ابى الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيس .
فكان جده هو ابو الحجاج يوسف والى بلنسية من قبل . أما

(1) صفحة 313 من كتاب اعمال الاعلام .

ابوه مدافع ، فقد استشهد شابا .

ومما سبق نستطيع ان نستنبط ان دولة الموحدين بشرق
الاندلس قد دالت ، وان الامل في نصرتها ملوك الاندلس قد صار
مفقودا ، ولهذا اتجه ابو جميل زيان لتبعية الى خليفة بغداد
من العباسيين . والحقيقة هي ان امراء الموحدين قد صاروا من
الضعف في المغرب والاندلس بحالة لا تسمح لهم بمد يد المعونة
الى المستصرخين من امراء المسلمين بالاندلس ضد الروم . وكانت
دولة بنى حفص في تونس قد نهضت وغطى سلطانها سلطات
دولة الموحدين ، فلا عجب حينئذ ان نجد امراء الاندلس
يتجهون الى بنى حفص ⁽¹⁾ طلبا للنجدة والمعونة ضد الغزاة من
الروم . وهذا ما فعله الرئيس ابو جميل زيان والى بلنسية عند
ما هاجمه ملك برشاونه ، كما سنوضح ذلك في ترجمة ابن
الابرار نفسه .

(1) يقول المقرئ فى فتح الطيب : «ولم يزل اهل الاندلس بعد ظهور
النصارى عليهم يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاختد الثار ، بالنظم والشار
فلم ينفعهم ذلك . فمن القوائد الموجهة فى ذلك . قول بعضهم لما اخذت
بلنسية . يخاطب صاحب افريقية ابا زكريا عبد الواحد بن ابي حفص :
نادتـك اندلس قلب نـدائها واجعل طواغيت الصليب فـدائها